

# الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي أمريكا نموذجاً

أ.د. علاء الدين خروفة  
الجامعة الإسلامية الأمريكية - شيكاغو

بحث مقدم إلى مؤتمر الحوار مع الآخر  
المنعقد في جامعة الشارقة  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الاثنين والثلاثاء والأربعاء ٢٨ - ٣٠ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ الموافق ١٦ - ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧ م.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
وبعد فإننا معاشر المسلمين لا نخشى الحوار ولا نخافه، بل على العكس نرحب به ونعتقد أنه من  
أبسط واجباتنا، وذلك أننا ندرك جيداً ونعي قوله تعالى: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ  
صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** فصلت: ٤٤<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية الكريمة واحدة من آيات عديدة تدعو المسلمين إلى الدعوة إلى الله - سبحانه - والعمل  
الصالح والجهر بالحق.

ومنذ خمسين عاماً لم يكن الإسلام معروفاً كما هو الآن، لقيت أختاً مسلماً في أمريكا، وأصله من  
لبنان قال لي: منذ أربعين عاماً حين حضرت إلى كندا كنت أسأل عن ديني فإذا قلت إنني مسلم كانوا  
يسألون وما هو الإسلام، ولذلك كنت أختصر القصة وأقول لهم إنني كاثوليكي، ولا شك أن تلك  
الحالة قد تغيرت كثيراً كثيراً. فمنذ ثلاثة وعشرين عاماً وحين كنت مديراً لمكتب رابطة العالم  
الإسلامي وممثلاً لدى هيئة الأمم المتحدة - دعيت وبعض الإخوة من قادة المسلمين في كندا  
لحضور حفل افتتاح البرلمان السنوي الكندي في موسم المعتاد وقد رحب بنا الناطق الرسمي  
للجلسة. وهذا تقدم كبير يجب أن نحمد الله - سبحانه - عليه.

ليست مبادئ الإسلام هي التي يخشى منها أو من بعضها، ما عندنا شيء يستحي منه... ولقد مررت  
بمحنة لا أنساها منذ خمسة وأربعين عاماً حين كنت أشرح قانون الأحوال الشخصية العراقي، وكنت  
أقارن الأحكام الفقهية مع مثيلاتها في القانون الروماني والقانون الفرنسي، والشريعة اليهودية،  
والشريعة المسيحية، وكانت المصادر متوفرة لدي في الشريعة اليهودية والقانون الروماني والقانون  
الفرنسي أما الشريعة المسيحية فكانت المصادر مستعصية، وكلما حاولت السؤال من القسس  
المسيحيين في البصرة حيث كنت أعمل قاضياً لم أجد أي إجابة، وكان البحث يقتضي أن أوفي  
الموضوع حقه، ولكن لم يكن هناك من سبيل، حتى عثرت على كتاب (الأحوال الشخصية لغير  
المسلمين والأجانب في مصر) تأليف د. حسن فرح، وإذا به في المقدمة يشكو مما واجهته من  
مشكلة، وما شكوت منه، وهو عدم تعاون القسس معه وعدم تزويده بالمصادر التي يحتاجها، ثم  
أدركت أن أولئك القسس معذورون لأنه ليست عندهم أحكام فقهية تفصيلية كالتي عندنا، ولذلك فإن

١ يذكر الطبري في تفسيره أن المراد بهذه الآية الكريمة هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد دعا إلى الإسلام، وممن قال بذلك هو:  
ابن الجوزي في زاد المسير، وقال آخرون: عنى به المؤذن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ: جامع البيان عن  
تأويل القرآن، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٠ م ج ٩  
ص ٧١٩٨، وقال ابن كثير: هذه الآية الكريمة عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي  
(٦٦٤) دار السلام، الرياض. ودار الفيحاء، دمشق ج ٤ ص ١٢٨.

غير المسلمين في العراق منذ تشكيل الحكومة العراقية وقبل خمسة وثمانين عاماً تقريباً، يطبق عليهم الفقه الحنفي، وفي الميراث تطبق عليهم أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية. إن ديننا يتكون من أركان خمسة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم رمضان. وإلى جانب هذه الأركان الخمسة هناك تعاليم كثيرة، وإرشادات عديدة تضمنها المصدر الأول لهذا الدين وهو القرآن الكريم، وتضمنها المصدر الثاني وهو السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام.

**المصدر الأول:** القرآن الكريم وحول أهميته ورد كثير من الآيات الكريمة منها قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة: ٢).

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [إبراهيم: ١].

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) [ص: ٢٩].

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا \* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الإسراء: ٩-١٠].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة العديدة التي تبين أهمية ومكانة هذا الكتاب الكريم الذي هو المصدر الأول للدين الإسلامي.

ولو أن الأمة الإسلامية فقحت ذلك الكتاب، واتبعت أوامره ووقفت عند نواهيه لما أصابها ما أصابها، ولما حلت بها المحن والإحزن، ولما واجهت الفتن التي تجعل الحليم معها حيران لا يدري ما العمل، وما الحل وما الدواء، والدواء قريب منه وليس ببعيد (فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى\* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) طه: ١٢٣-١٢٤، وما أروع قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث عن التمسك بهذا الكتاب الكريم فيما يرويه الإمام علي رضي الله عنه إذ يقول: "إنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: أما إنها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله تعالى فيه نباء ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى.. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.. وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا

قرأنا عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به). من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم<sup>(١)</sup>.

أجل أنه الكتاب المنقذ، وإنه الدواء الناجح، وإن فيه الشفاء العاجل، والرحمة المهداة وإنه القانون الدستوري للدولة وصدق الله العظيم (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء: ٨٢، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٥٧).

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فيمن ترك القرآن الكريم وابتغى تشريعاً آخر غيره: "سبحان الله ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الذخائر؟ وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟ قنعوا بأقوال استنبطها معاول الآراء فكراً، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبراً، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً.. درسوا معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودفرت معاهد عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأقلت كواكبه النيرة من آفاق نفوسهم فلذلك لا يحبونها، وكسفت شمسها عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يبصرونها"<sup>٢</sup>.

**المصدر الثاني** لهذا الدين هو السنة النبوية: وهي ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير<sup>٣</sup>.

والسنة بأنواعها الثلاثة (القولية والفعلية والتقريرية) هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وقد أوجب الله - سبحانه - إتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - في آيات كثيرة عديدة منها:

١- (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [ آل عمران: ١٣٢ ]، فهذه الآية الكريمة دليل

صريح على وجوب طاعة الله - جل جلاله - وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولا شك أن طاعة سنته بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - هي طاعته حال حياته.

٢- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ) [ الأنفال: ٢٤ ].

٣- (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [ النساء/ ٨٠ ]، فهذه الآية الكريمة ترقى بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتجعلها طاعة الله سبحانه،

(١) رواه الترمذي: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٨ / ٢١٨.

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٥.

(٣) علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر، دمشق ص ٣٣.

ولا شك أن هذه منزلة رفيعة، سامية جديرة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي قال الله فيه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤].

٤- (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [ آل عمران: ٣١]، ومحبة الله واجبة، فالآية الكريمة دلت على أن متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم - لازمة لمحبة الله الواجبة، ويلزم من انتقاء اللازم انتقاء الملزوم وهو ممتنع<sup>١</sup>.

٥- (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور / ٦٣]، وهذه الآية الكريمة تضمنت تحذيراً عن مخالفته -صلى الله عليه وسلم- وتهديدا بأن عذاباً أليماً سوف يصيب أولئك الذين يخالفون عن أمره.

٦- (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [آل عمران/٣٢]، فهذه الآية الكريمة تجعل الإعراض عن طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كفراً..

٧- (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب: ٣٦]، فهذه الآية الكريمة توجب اتباع أوامر الله -جل وعلا- وأوامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتسلب الخيار من المؤمنين وتصف من ترك أوامر الله وأوامر الرسول بالضلال المبين الواضح.. وكفى به ذلاً ومقتاً..

٨- واعتبر القرآن الكريم الإعراض عن طاعة حكم الله - سبحانه - وحكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علامة من علامات النفاق، وذلك في قوله - تعالى-: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ) [النور/٤٧-٤٨]، وقوله - تعالى-: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ \* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [النور: ٥١-٥٢].

وقد بين الله - تبارك وتعالى- في هاتين الآيتين السالفتين أن من صفات المؤمنين السمع والطاعة والخضوع والإذعان، ومن كانت هذه صفاته فهو من الفائزين في الدارين.

٩- ولقد جعل الله - سبحانه استئذان الرسول -صلى الله عليه وسلم- من شأن المؤمنين وعلامة على إيمانهم أنهم كانوا معه ألا يغادروا مجلسه إلا بعد الاستئذان: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

(١) الإحكام في أصول الأحكام للأمرى / ١٧٦.

أَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ٦٢].

١٠- وقد أمر الله - سبحانه بأخذ وإتباع كافة ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم-، وذلك في قوله -تعالى- (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: ٧]، وهذه الآية الكريمة وإن نزلت في الفياء فإنها عامة تدل دلالة صريحة على وجوب اتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كل شيء وامتنثال أوامره واجتتاب نواهيه <sup>(١)</sup>، (فكل حكم ورد في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يرد تفصيلاً في كتاب الله -تعالى- فهو مندرج تحت هذه النصوص ويكون الكتاب قد بين حكمه عن طريق جعله السنة أصلاً من الأصول التي تؤخذ منها الأحكام)<sup>(٢)</sup>.

ولقد أخبر الله - سبحانه أن من واجبات الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يبين للناس ما أجمل في القرآن الكريم (أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤]، وقد أكد -سبحانه- هذا المعنى في آية أخرى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [النحل: ٦٤].

بل جعل الله -سبحانه وتعالى- اتباع الرسول والنزول على حكمه وعدم مخالفته في أي أمر من أمورهم علامة على الإيمان، ونفى جل وعلا صفة الإيمان عن من لم يفعل ذلك: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء: ٦٥].

ومنزلة السنة النبوية الكريمة تعرف إلى جانب ما مر من الآيات الكريمة مما ذكره الله -سبحانه- في قوله -جل شأنه-: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٩٠م، ج ١٨، ص ١٧، وقد جاء في الصفحة المذكورة: قال المهدي: قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر من الله -تعالى-، والآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره -صلى الله عليه وسلم- ونواهيه داخل فيها، وقال الحكم بن عمير -وكانت له صحبة- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة، وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتفوا أمري وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي استهزأ بالقرآن)، قال -تعالى-: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

(٢) أصول الفقه الإسلامي د. زكي الدين شعبان، ص ٧٦.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :- "ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذكر واتبعت الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز - والله أعلم - أن يقال هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب، وأن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس إتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول فرض إلا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به<sup>(١)</sup>.

وواضح من كلام الشافعي رحمه الله تعالى - أن الحكمة شيء آخر غير القرآن الكريم، وهو رأي جمهور العلماء والمحققين.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى:- "واضح ما ذكره الشافعي هنا - رحمه الله - أنه يجزم بأن الحكمة هي السنة لأن الله عطفها على الكتاب؛ وذلك يقتضي المغايرة، ولا يصح أن تكون شيئاً غير السنة، لأنها في معرض المنة من الله علينا بتعليمنا إياها، ولا يمن إلا بما هو حق وصواب، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالقرآن، ولم يوجب علينا إلا اتباع القرآن والرسول، فتعين أن تكون الحكمة هي ما صدر عن الرسول من أحكام وأقوال في معرض التشريع<sup>(٢)</sup>.

وتلك الآيات الكريمة أدلة ساطعة قوية على أن السنة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد انعقد إجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين - على وجوب الأخذ بالسنة النبوية الشريفة إذ لم يجدوا الحكم في القرآن الكريم، وكذلك كان عملهم، وقد ورد في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن رسأله: "بم تقضي؟" قال: بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: بسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله؟" قال: أجتهد رأيي. فقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى به رسوله"<sup>(٣)</sup>.

وإلى جانب الإجماع، فإن العقل السليم يؤيد ذلك، فلا يعقل أن يرسل الله - سبحانه - رسولا لقوم ولا يجعل لكلامه فائدة، ولا يجعل له صلاحية تأسيس الأحكام، وشرحها وبيانها...

(١) الرسالة ص ٧٨، وانظر أيضاً: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى -، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت) ١٤٠٢هـ، الطبعة الثالثة، ص ٥٠.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٥١.

(٣) أصول السرخسي ١٠٦٢-١٠٧، وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن عدي والطبراني، والبيهقي من حديث الحارث من عمر وعن ناس من أصحاب معاذ بن جبل، وقد طعن بعض العلماء في هذا الحديث، لأن فيه الحارث بن عمرو وهو مجهول في زعمهم، كما أن أصحاب معاذ مجهولون. ولكن الأمة تلقته بالقبول، وأجمعوا على صحة معناه، ( انظر: ابن القيم: أعلام الموقعين، ٢٤٣/١، ابن حجر العسقلاني ١٨٢/٢، وأستاذنا الشيخ عيسى منون: نبراس العقول ص ٨١ والخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١ / ٨٨١، والدكتور علي حسن عبد القادر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ٥٧.

وإلى جانب الكتاب والسنة فهناك الإجماع والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف وشرع من قبلنا وقول الصحابة....

فهذه مصادر الشريعة الإسلامية، ولا يتسع المقام للحديث عن كل واحد منها بالتفصيل، فجل ذلك في كتب أصول الفقه جزى الله خيرا علماء الإسلام على جهودهم في العلوم الشريعة كافة. ولقد جاء هذا الدين لتحقيق المصالح التالية: ١- حفظ الدين ٢- حفظ النفس ٣- حفظ العقل ٤- حفظ النسل ٥- حفظ المال.

وكل ما كان مصلحة مشروعة فهي من الإسلام، لأن دين الله - سبحانه - كله مصالح،..... مفسد أو جلب مصالح كما قال العلامة العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - (١).

ويقول العلامة ابن القيم الجوزية: إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ومصالح كلها، وحكم كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه (٢).

ويلاحظ من الشريعة الإسلامية أنها عامة، إي أنها للعالمين أجمعين، فهي ليست للعرب فحسب، وليست لغير العرب فحسب، وإنما هي للعالمين، والعالمون جميع العالم، والعالم جمع لا واحد له.

ومما يؤيد هذه العالمية قوله - تعالى -: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [ الأنبياء: ١٠٧ ]، وقوله - تعالى -: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [ الفرقان: ١ ]، وكذلك قوله - تعالى -: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [ سبأ: ٢٨ ].

يقول القرطبي في تفسيره لقوله - تعالى - (ليكون للعالمين نذيراً)، (والمراد بـ: العالمين) هنا الأنس والجن، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كان رسولا إليهما ونذيراً لهم، وأنه خاتم الأنبياء ولم يكن غيره عام الرسالة إلا نوح، فإنه عم برسالته جميع الإنس بعد الطوفان لأنه بدأ به الخلق (٣). ويؤكد هذه العمومية قوله - تعالى - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [ الأعراف: ١٥٨ ].

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة (يقول - تعالى - ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - قل يا محمد للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من

(١) قواعد الأحكام ٩/١٣.

(٢) الطرق الحكيمة ص ١٤.

(٣) القرطبي ٢/١٣.

قبلي من الرسل مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكن إلى جميعكم<sup>(١)</sup>.

وفي حديث جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت.... مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فإيما رجل من أتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث في قوله خاصة وبعثت إلى الناس عامة)<sup>(٢)</sup>.

مما اتصف به هذا التشريع أنه عملي واقعي لا يبني أحكامه إلا على ما في استطاعة الإنسان أن يفعله، ولم يكلفهم بما يستحيل عليهم القيام به، يشهد لهذا قوله - تعالى -: (ويضع عنهم إصرهم الأغلال التي كانت عليهم) [الأعراف: ١٥٧]، وقوله - تعالى -: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) [البقرة: ١٨٥]، وفي آيات كريمة أخرى يقرر الله - سبحانه - تلك الحقيقة الناجحة وهي أن الحرج مرفوع من هذه الشريعة، ولا يوجد واحد من أحكامها بني على الحرج، أو أنه أوقع المكلفين فيما لا يطيقونه مطلقاً، فالإسلام فرض على المسلم أن ينطق بالشهادتين بلسانه فمن كان فاقده اللسان فهو معفي من ذلك، وتتوب شهادته بقلبه، وفرض الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة بأشكالها المعهودة فمن لم يستطع صلى قاعداً، ومن لم يستطع صلى مضجعا، فإن لم يستطع بأن كان مغمى عليه سقطت عنه الصلاة حتى يفيق، ومن ملك النصاب وجبت عليه الزكاة، فإن لم يملك شيئاً فليس مطالباً بأداء الزكاة، وفرض الصيام على المقيم الصحيح القادر عليه، فمن كان مسافراً جاز له الإفطار وعليه القضاء، ومن كان مريضاً أفطر وعليه القضاء، وفرض الحج على المستطيع فمن لم يستطع فلا يحاسب على عدم أداءه، وهكذا التشريع كله يسر وكله سماحة وكله خير وبركات للبشرية وهداية ورحمة<sup>(٣)</sup>، ولقد اشتمل هذا الدين بجانب تنظيمه للعلاقة بين الخالق والمخلوق على عدد من الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية، وكل واحد من هذه الأنظمة قد بلغ الكمال والروعة، كيف لا ولو - بخطوطه العريضة - من وضع الله - سبحانه - (ومن أحسن من الله صبغة)، (ومن أحسن من الله قبلاً)، ولا يتسع هذا المكان والوقت لشرح كافة الأنظمة لذلك سوف اقتصر على النظام الاقتصادي فحسب:

أمر الله - جل جلاله - أن يؤدي المسلم زكاة أمواله، في آيات كريمة عديدة منها قوله - تعالى -: (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) [الحج/ ٧٨].

(١) الطبري ٨٦/٩.

(٢) رواه الشيخان .

(٣) فلسفة التشريع الإسلامي للباحث .

ولقد شجع الإسلام المسلم أن يعمل وأن يجتهد في كسب رزقه (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [ الملك: ١٥ ]، وهناك آيات كريمة عديدة تحث وتشجع على العمل، ووردت أحاديث عديدة في هذا الصدد.

والزكاة ليست هي المصدر الوحيد لبيت المال في الإسلام، فهناك خمس الغنائم، والفيء والعشور، وتركه من لا وارث وما في حكمها، وضريبة الأرض الزراعية، وضريبة الأشخاص (الجزية)، وغير ذلك بما يستجد ويحتاج إليه المجتمع.

فإذا نجحت هذه الموارد فعلى رئيس الدولة أن ينفقها في مصالح الأمة وحاجاتها.

كما أقر الإسلام نوعين من الملكية: الجماعية والفردية، ونريد أن نفرّد مكانا للملكية الفردية لأهميتها:

## الملكية الفردية: (١)

لقد أقر الإسلام الملكية الفردية واعترف بها وسمح لها أن تنمو وتزدهر، ووضعها في حصن حصين وسياج مكين، وصانها من عبث العابثين وطمع الطامعين، ومنع يد الغير أن تمتد إليها إلا بحق الإسلام نفسه، حتى إنه - الإسلام - جعل المحافظة على المال من مقاصده التي جاء ليحافظ عليها.

ولم يشدد الإسلام في عقوبة السارق ولم يجعل قطع اليد جزاءه إلا للمحافظة على الملكية الفردية، ولم يحرم الإسلام الغش والسلب والخيانة والرشوة والظلم والربا والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل إلا محافظة على الملكية الفردية ولولا خوف الإطالة، والابتعاد عن موضوع الحوار مع الآخر،.... بالنصوص العديدة المؤيدة لذلك كله.

ومن قبل أن يأتي الإسلام - الرحمة المهداة للبشرية جميعاً - قال أرسطو اليوناني: (إن الملكية الفردية ضرورة للحياة الاجتماعية السليمة لأنها هي التي تعزي الأفراد بالعمل وتدفعهم إليه). إن عمر الإسلام ألف وأربعمائة وثلاثون عاماً تقريباً، ولكن أرسطو قال تلك القولة الرائعة قبل الإسلام بنحو ألف سنة<sup>(٢)</sup>، وقد لمسنا صحة قوله هذا حين أمّمت بعض الحكومات المصانع والمعامل فانخفض الإنتاج.

ذلك أن الإنسان حين يعلم أن إنتاجه يذهب للدولة - كما في الشيوعية - لا يشتغل بالحافز ذاته حين يكون إنتاجه لنفسه.

غير أن الإسلام إذ شجع الملكية الفردية واعترف بها وحافظ عليها ورعاها - شرع لها في الوقت ذاته الأنظمة التي تعمل على تقليصها وتمنع تكديسها وإحصارها في شخص واحد أو جماعة معينة، فقد شرع الإسلام في المال الزكاة والميراث والوصية والوقف والصدقة وغير ذلك.

وأكرر أن الاعتراف بالملكية الفردية هو الذي يغري الأفراد على العمل ويدفعهم إليه، وهذا ما جعله الخالق جل وعلا في كل إنسان، ولم يرد في القرآن الكريم نص يحدد الملكية الفردية.. كما لم يرد ذلك في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، كما لم يرد ذلك في إجماع علماء الإسلام، فالمسلم له الحرية الكاملة في أن يمتلك أي مقدار من النقد أو الذهب أو الفضة أو العمارات أو الأراضي أو غير ذلك، وليس هناك حد أعلى بشرط أن يؤدي المسلم الواجب في ذلك المال، وهو الزكاة، وما زاد عليها فهو تطوع.

(١) الملكية الفردية هي التي تكون لشخص واحد أو أشخاص معينين يملكونها على سبيل التساوي أو الاختلاف في الأنصبة، ومن أراد تفصيلاً لهذا الموضوع فسوف يجده في كتاب (فلسفة التشريع الإسلامي)، وكتاب (نظرات في الإسلام).  
(٢) عاش أرسطو اليوناني من ٣٢٢ - ٣٨٤ ق.م .

وحين أصدرت بعض الحكومات منذ خمسين عاماً قانوناً يحدد ما يملكه الفرد من الأراضي والعمارات والنقد بمبلغ معين ويصادر الباقي برزت أقلام كثيرة تؤيد ذلك وتحاول أن تجعله إسلامياً وباسم الإسلام ولما تبدل الحال خبا صوت تلك الأقلام فلم نعد نسمع لها همساً.. فقد كانت أقلام وعاظ السلاطين:

إن العدالة كانت تقتضي أن يحاسب من اشتبه في ملكيته فإذا أثبت أنه قد حصل عليها عن طريق النهب والسلب والغش والخيانة فإن من حق رئيس الدولة أن يحاسبه وأن يصادر تلك الأملاك بعد محاكمة عادلة، أما أن تصدر كافة أملاك الناس وأموالهم بالأسلوب الذي ذكرته فهذا مالا أجد له مسوغاً في التشريع الإسلامي ولا أجد له سابقة في تاريخ البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً...

لقد نام أصحاب تلك الأملاك ليلتهم وهم يملكون ما شاء لهم أن يملكوا وأن يجمعوه طيلة حياتهم، وأصبحوا قد نزعت أملاكهم لا يملكون شيئاً إلا أندر من القليل وبعضهم أصيب بسكتة قلبية ومات، وبعضهم أصيب بشلل ويريد أن يذهب إلى البلاد التي يتوافر فيها العلاج ولكنه لا يستطيع لأنه لا يملك تكاليف السفر ولأن السفر ممنوع، ومغادرة البلاد محظورة، فهل هذه هي العدالة التي أمر الله بها الحكام والرؤساء أن يفعلوه؟؟

ونعود إلى الحوار<sup>(١)</sup> مع الآخر، ونصل إلى أمريكا حيث الآخر كثير كثير، إن نفوس الولايات المتحدة الأمريكية حسب آخر إحصاء هو (٣٠٠) ثلاثمائة مليون نسمة ثمانية منهم مسلمون، والباقيون هم الآخر، والآخر.. والآخر، هناك مختلف الديانات مسيحيون وهم الأغلبية الساحقة، يهود، وبوذيون، حتى إننا نجد من يعبد الشيطان.

إن القسس المسيحيين يبيئون أحسن دعاية للدين الإسلامي، وأكرر هذه العبارة وأعلم أنها غريبة، كيف يبيث القسس النصارى الدعاية للدين الإسلامي؟

وسوف أبين ذلك: إن المسيحية المعاصرة تؤمن بأن المسيح هو ابن الله و- أستغفر الله العظيم- من هذا القول، والذي لا يؤمن بهذه الفكرة الخاطئة لا يجد له مكاناً في أي كنيسة - ما عدا ولاية (يوتا) حيث يوجد الـ (مورمن) وهم لا يؤمنون بسيدنا عيسى - عليه السلام - بل يؤمنون بنبي لهم اسمه (سميث) وإذا قيس هؤلاء المورمن بغيرهم فالنتيجة أنهم أقلية، ويجب على المسلمين أن يؤمنوا بأن عيسى - عليه السلام - قد مات من أجلهم، وأنه قد دفع حياته من أجلهم، وليس عليهم

(١) ورد الفعل المضارع من هذه الكلمة (يحاور) في سورة الكهف (فقال لصاحبه وهو يحاوره) ٣٤/١٨ ثم وردت مرة أخرى في السورة ذاتها (قال له صاحبه وهو يحاوره) فذكر ابن كثير أن معنى يحاوره: يجادله ويخاصمه (١١٣/٣) وذكر الطبري أن معنى يحاوره: يخاطبه ويكلمه ج ٧ ص ٥٣٥٤.

جناح أن يذنبوا وأن يرتكبوا كافة المخالفات، وعليهم أن يسلموا بهذه الفكرة دون مناقشة.. وبعض القسس يظهر يوم الأحد من كل أسبوع ويبدأ كلامه قائلاً: اليوم عيسى يحبك، ثم يكمل بعد لحظة واحدة: (عيسى هو ربنا) و- استغفر الله سبحانه - مرة أخرى، ثم يكمل بعد لحظة أخرى: (عيسى هو ابن ربنا)، ثم يكمل بعد لحظة أخرى: (عيسى قد مات للتكفير عن خطايانا)... والمطلوب أن يسكت المسيحي ولا يناقش، وإلا فإنه لن يجد كنيسة تتعاون معه.

إذن فالقسس يشوشون عقل الإنسان وما على دعاة الإسلام إلا أن يگتتموا الفرصة، ويأتوا إلى تلك العقول، ويخبروها بمبادئ الإسلام - دين الفطرة -، ولكننا لسنا فاعلين مع الأسف الشديد، ومن هنا أقول إننا نرحب بالحوار أداء لواجب الدين، وإنقاذاً لمن ضل عن الفطرة السليمة. كيف يستطيع صاحب العقل السليم أن يؤمن بأن عيسى هو ربنا و - استغفر الله العظيم مرة أخرى - وكيف يستطيع أن يؤمن أن عيسى هو ابن الله؟ وكيف يستطيع أن يؤمن أن عيسى - عليه السلام - قد مات ليكفر عن ذنوب الآخرين؟ حتى وإن ولدوا وعاشوا بعده بألف عام وأكثر.. أما وقد بلغنا في رحلتنا أمريكا فإن الأمانة تقتضي أن أذكر الإيجابيات والسلبيات وأترك الحكم لغيري.

كنت مدعواً للحديث عن الإسلام في كنيسة كبيرة تبعد عن نيويورك ثلاث ساعات في السيارة، وشارك معي في الندوة اثنان من القسس المسيحيين وحاخام يهودي، ودعينا لشرب القهوة قبل ابتداء الندوة، لذلك سألت الحاخام هل صحيح أن اليهودية تبيح لليهودي أن يتزوج من بنت أخته فأسقط في يده من هذا السؤال الذي لم يكن يتوقعه وارتبك ثم قال: نعم صحيح، فقلت له: وما هي الحكمة من وراء ذلك؟، فقال: الحقيقة أن ذلك مقصود منه أن تنحصر الثروة في العائلة الواحدة، فقلت معجباً وبسرعة: إذن هو المال وليس غير المال فسكت هو وضحك الحاضرون.. ثم بدأت الندوة - وكانت باللغة الإنكليزية طبعاً - وكان موضوع حديثي عن القرآن الكريم، وذكرت ما حضرني وما يسره الله - تعالى -.

ولما جاء دور الحاخام للكلام تبين أنه ملحد ولا يؤمن بدين فكان مما قاله: إني لا أوّمن بهذا الرب لأنه يأمرنا أن نكون يهوداً أو نصارى أو مسلمين في وقت واحد، وبطبيعة الحال فقد كذب ذلك الراباي (الحاخام) وكفر لأن الله - سبحانه - أمر الناس أن يتبعوا موسى - عليه السلام - وأن يكونوا يهوداً، ثم أمر الناس أن يتبعوا عيسى - عليه السلام -، وبعد ستة قرون تقريباً، أرسل الله - سبحانه - محمداً وأمر الناس أن يكونوا مسلمين، ثم أجببت بتفصيل أكثر بما يسّر الله - ﷻ -، وقد تقبل الحاضرون كلامي قبولاً حسناً.

وفي فترة السؤال والجواب قامت امرأة وسألتني: (هل هناك وسيلة لأن أحصل على نسخة من القرآن).. وقد حصلنا على عنوانها وأرسلنا لها نسخة من القرآن الكريم ترجمة يوسف علي<sup>(١)</sup>. وحضرت مؤتمراً في جامعة في (كاليفورنيا) حضره ثلاثون عالماً من الديانات الثلاثة، (عشرة من كل ديانة) وكنا نجلس جميعاً على المسرح لهذا الاجتماع، ولما جاء دوري بينت أن القرآن الكريم هو المهيم على الكتب كلها واستشهدت بقوله – ﷺ -: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [ المائدة: ٤٨ ].

وقد اعترض الحاخام اليهودي، وكان قد حضر لهذا المؤتمر خصيصاً من القدس، وذكر بأن الاعتقاد بأن القرآن مهيم على الكتب الأخرى لا يتفق مع عقيدتنا، ولم يكن ذلك غريباً علي لأن كثيراً من غير المسلمين لا يقبلون الحوار، ولا يسلمون لرأي يختلف عن دينهم.. وأرى أن الإنصاف يحتم علي أن أدون هنا أن القسس المسيحيين كانوا يتجاوبون مع آرائنا إلى حد، وما كنا نسمع منهم إلا الخير والأدب، على حين أن الشدة والبغضاء كنا نواجهها من قادة اليهود، ولعل ذلك مصداق لقوله – ﷺ -: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [ المائدة: ٨٢ ].

- قسيس يعمل في جامعة لا أذكرها أنشأ معهداً لهداية المسلمين !!! داخل جامعته، ثم راح يصدر نشرة فصلية يطبع فيها صورة رجل عجوز يظهر عليه الفقر والجهل ويذكر أنه من بنجلادش وقد آمن بعيسى، بمعنى آخر أن هذا العجوز قد ترك دينه الإسلام وتنصر!!

- قسيس آخر اسمه د. روبرت شولر ويتمتع بشهرة واسعة، وأجرت معه صحيفة واسعة الانتشار تصدر في لوس أنجلوس (كاليفورنيا) تحقيقاً صحافياً قارن فيه بين رسولنا العظيم – صلى الله عليه وسلم – وبين سيدنا عيسى – عليه السلام، وكان مما قاله: إن محمداً قد خاض معارك دموية كثيرة، وقد احتج على هذا التصريح قادة المسلمين في كاليفورنيا، وكان ذلك منذ ثلاثة وعشرين عاماً وكنت حينئذ في مكتب رابطة العالم الإسلامي كما سبق أن ذكرت، فأرسلت له رسالة احتجاج شديدة ذكرت فيها ما هو واجب علينا، فأجابني بأنه لم يقصد الإساءة مطلقاً، وأنه يُسَف كثيراً على الشكل الذي نشر فيه حديثه، فكتبت إليه رسالة

(١) وزع مكتبة الرابطة في نيويورك مجاناً مائة ألف نسخة من ترجمة يوسف علي، ومثل هذا العدد من ترجمة محمد مارمادوك بكتال .

أخرى قلت فيها أن هذا الاعتذار لا يكفي ويجب أن تنشر ذلك في الصحيفة التي نشرت المقابلة معك، وأرسلت له نسخة من كتاب حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - تأليف: محمد حسين هيكل، وترجمة: الدكتور إسماعيل الفاروقي - رحمهم الله تعالى -...

- حضرت مؤتمراً إسلامياً في ولاية وليست (فيرجينيا) وكان أحد المحاضرين أستاذاً أصله بلجيكي واسمه: ويليام ديفيد، وهو نصراني وإذا به يتكلم عن القرآن الكريم كلاماً حسناً جيداً، وهو لا يحسن اللغة العربية، وقد تكلم عن سورة (الروم) وما تتحدث عنه تلك السورة من المعجزات الكونية، وأشهد أنه كان عالماً بما يقول، ثم ذكر: صدقوني إنني لا أنام كل يوم إلا إذا قرأت شيئاً من القرآن الكريم.. ثم قام أحد الحاضرين وسأله: هل أنت مسلم؟ فأجاب بالنفي... وكتبت بعد ذلك إحدى الصحف في البلاد العربية عن تلك المحاضرة.

وهناك أستاذ مسيحي يعمل في كاليفورنيا وهو يجول في البلاد طويلاً وعرضاً، ويدعى من قبل المسلمين ويتحدث عن المسلمين كأنه مسلم، وجاء إلى الجامعة الإسلامية في ماليزيا، وكرر تلك الجمل، فقام أحد الطلاب - جزاه الله كل خير - وسأله المحاضر: هل أنت مسلم؟ فأجاب بالنفي.

## تغيير الدين:

تقدم مؤتمر الدين والإسلام (فرع نيويورك) إلى هيئة الأمم المتحدة لتعدل نظامها ونسمح لكل انسان أن يغير دينه متى شاء، والمقصود من هذا التعديل واضح، إن المنصرّين يريدون أن يأتوا إلى القرية الفقيرة ويمدوها بالطعام والدواء ثم يطلبوا منها أن تغير دينها وأن تتبع ما يريدون.

ولما كان كثير من الناس لا يعرفون قوله – صلى الله عليه وسلم -: (من بدل دينه فاقتلوه)، ويجهلون أن تغيير الدين للمسلم غير جائز وهو كفر وخروج عن الإسلام، لذلك أرسل مكتب الرابطة في نيويورك رسالة إلى كافة القراء المسلمين الذين يمثلون بلادهم لدى هيئة الأمم المتحدة يلفت نظرهم إلى هذه المكيدة وعلما أن ممثلي جامعة الدول العربية في نيويورك سوف يجتمعون ويناقشون هذه المسألة الهامة والخطيرة، ولم يكن لنا حق الحضور لأن رابطة العالم الإسلامي ليست عضواً في جامعة الدول العربية، وإنما هي عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي (OIC) Organization of Islamic Conference وبتوسط بعض الأخيار سمح لمدير مكتب الرابطة بحضور تلك الجلسة التي خصصت لبحث هذا الموضوع، فحضر وأدى واجبه، ثم عرض القرار على هيئة الأمم بعد تعديله كما أراده مندوبو الدول الإسلامية والعربية فنجح والفضل لله وحده.

ولقد آن الأوان أن أشيد بالدكتور (مارستون سبيتا) الذي هو من مشاهير القسس، فقد كنت مدعوا لإلقاء محاضرات عن الإسلام في مدينة (برمنكهام) انكلترا – في جامعة (سيلي أوك) التي تبعد عن لندن ساعة واحدة بالقطار، وكان المشاركون في هذه الدورة من مختلف البلاد الأوروبية ومدتها أسبوعان، وكنت قد تعرفت على الدكتور سبيت في نيويورك والتقيت به.

وفي محاضرة للدكتور سبيت قال عن الحروب الصليبية (دعونا نعتزف بصراحة، هم (ويقصدون المسلمين العرب) لم يأتوا إلينا بل نحن ذهبنا إليهم وغزوناهم) وقد سررت بهذه الصراحة من رجل دين شهير، ولم يكن بين الحضور أكثر من خمسة أو ستة، على حين أن المشاركين في تلك الدورة كانوا لا يقلون عن خمسين شخصاً من مختلف التخصصات... وكلهم مسيحيون، وقد استمعوا إلى محاضرات في مختلف الموضوعات... وتكلم كاتب هذه السطور عن سيدنا عيسى – عليه السلام – من وجهة النظر الإسلامية، وذكر لهم أن المسلمين جميعاً يؤمنون بعيسى على أنه واحد من رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – وهاجم العقيدة التي تؤمن بأن عيسى هو الله أو ابن الله، ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده لأنه

هو الخالق، ولا شريك له ولا ولد، فغضب أحد الحاضرين وكان من ألمانيا واحتج على المحاضرة بشدة ثم قام أ.د. العسكري، وهذا الحال الثائرة، وأفهمهم أن هذا اجتماع ديني... - جزاه الله خير الجزاء.-

إنه رغم الخلاف الجذري بين الإسلام - دين التوحيد الخالص - وبين اتباع الأديان الأخرى الذين يؤمنون أن الخالق - سبحانه وتعالى - له ولد كالمسيحيين الذين يؤمنون بأن عيسى هو ابن الله - سبحانه وتعالى عن ذلك -، واتباع اليهودية الذين يؤمنون بأن عزير ابن الله و - استغفر الله العظيم - رغم كل ذلك يجب أن نستجيب للحوار، وأن نجعل منه وسيلة لشرح أحكام الإسلام لمن لا يعرفونها، ويجب أن نتخذ القدوة والهداية من قوله - ﷺ -: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٦]، وهذه الآية الكريمة محكمة غير منسوخة، قال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء إلى الله - عز وجل -، والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة<sup>(١)</sup>.

يقول الطبري: أيها المؤمنون بالله ورسوله: لا تجادلوا اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب (إلا بالجميل من القول وهو الدعاء إلى الله - عز وجل - والتنبيه على حججه)<sup>(٢)</sup>، ومن المؤلم حقاً أن يكون غير المسلمين هم الذين يدعوننا للتحدث إليهم عن الإسلام، والحال أنه يجب علينا نحن أن ندعوهم لتحدث إليهم عن الإسلام، ونبلغهم دعوته، ونزيل الشبهات العالقة حوله...

إن مفتاح الدخول إلى الإسلام والإيمان بوحداية الله - سبحانه وتعالى - وأنه لا شريك له ولنتذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكث في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس للإيمان بوحداية الله ونبذ الشرك، ويجب علينا حين نشترك في الحوار أن نؤكد على هذه الوحداية، وأن ننبه عليها، وأن نأتي ببعض الآيات الكريمة التي تؤيد هذه الحقيقة البارزة مثل قوله - ﷺ -: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ١٨]، وغيرها...

وقد علق ابن كثير على هذه الآية الكريمة فقال: شهد - ﷺ - وكفى به شهيداً وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين أنه: (لا إله إلا هو المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن

(١) القرطبي ج ١٣ / ٢٦٣ ط دار الفكر - بيروت - لبنان .  
(٢) المجلد الثامن ص ٦٤٨٣ طباعة دار السلام .

الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، ثم قرن ملائكته وأولي العلم بشهادته، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في المقام<sup>(١)</sup>، ومن المناسب اللائق أن نبرز قوله – تعالى -: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [ البقرة: ١٢١].

قال قتادة بالتعليق على هذه الآية: (قوله – ﷺ -: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هم أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم -) والكتاب على هذا التأويل هو: القرآن، وقال ابن زيد: هم من أسلم من بني إسرائيل، والكتاب على هذا التأويل، والآية: تعم، أي تعم الكتب المنزلة كافة... ومن مظاهر تقصير المنظمات والهيئات الإسلامية نحو العمل الإسلامي أنه لا يوجد واحدة من القنوات العالمية تبث شيئاً عن الإسلام..... في كل أسبوع ويتكلم فيها علماء وأساتذة معروفون بعلومهم، ولأن التلفزيون له تأثير فعال وهو يدخل كل بيت فقد فكرت بشراء ساعة واحدة أسبوعياً من محطة تلفزيونية قوية في الولايات المتحدة، وهناك ثلاث قنوات هي: CBS و ABC و NBC فكتبت رسالة إلى كل واحدة من هذه الثلاثة أسألهم فيها عن مقدار الأجرة الأسبوعية التي يريدونها ومكتنا ننتظر أسبوعاً وآخر حتى طال الانتظار حوالي شهر وهذا ليس مألوفاً في أمريكا فالناس يجيبون على الرسائل بسرعة سلباً أو إيجاباً، فناديت الموظف المختص وقلت له منذ صباح الغد لا تحضر إلى المكتب بل اذهب رأساً إلى هذه المحطات، ولما فعل وصلنا جواب بعد يوم أو يومين، وكأنهم متفقون على صيغة واحدة، نأسف لا يوجد لدينا وقت نؤجره.. وأظن أن السبب كان لأن كتابنا كان يحمل اسم الإسلام: رابطة العالم الإسلامي.. وهناك محطات تلفزيونية إسلامية تبث نصف ساعة أو ساعة في الأسبوع على مستوى الولايات وهذا متوفر ولكن لا يوجد مع الأسف الشديد قناة واحدة تبث على مستوى القطر كله، وبالتالي يلتقط العالم كله ما تبثه..

ومن خلال ملاحظاتي وتجاربي أن المسلم إذا اشترك بالنقاش والحوار مع غيره ممن يختلفون معه في الدين فإن النصر يكون للمسلم دائماً حتى وإن لم يكن حاصلاً إلا على الشهادة الابتدائية، والذين معه يحملون شهادات الدكتوراه في.....، والفضل لله وحده الذي أنزل القرآن، وخلق الإنسان وعلمه البيان، وذلك أن المسلم يتكلم عن علم عزيز ودين متين، وأن كثيراً من المسلمين حين يأتون إلى أمريكا بحكم إخلاصهم لدينهم ينقلون إلى دعاة

(١) ابن كثير المجلد الأول ص ٤٧١ .

للإسلام، حتى وإن لن يكونوا كذلك في أوطانهم، فيحاولون الحصول على الكتب الدينية من بلاد بعيدة ليدافعوا عن دينهم، والله مسؤول أن يجزيهم وأن يضاعف لهم الثواب.

وإني أذكر حين تسلمت عملي مديراً لمكتب الرابطة في نيويورك وممثلها لدى هيئة الأمم المتحدة – كتبت تقريراً اقترحت فيه أشياء كثيرة منها: أن يعيّنوا لنا ثلاثمائة داعية وكان المكتب المسؤول عن الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وكل ما كان يتبعنا ثمانية دعاة فحسب وكان ذلك عام ١٩٧٩م، فسألني مسؤول ومن أين وكيف نستطيع أن ندبر ثلاثمائة داعية؟ فقلت له: أستطيع تدبيرهم بشهر واحد من الكليات الشرعية من الرباط إلى جاكارتا نعينهم ونعطيهم سنة واحدة لدراسة اللغة التي يحتاجونها – الانكليزية أو الفرنسية – حسب الحاجة، فعقب قائلاً: ومن أين نأتي بالمال؟ فأجبته: هذا ليس من واجبي بل هو واجبكم... إن كثيراً من المنظمات الإسلامية مقصرة تقصيراً واضحاً تجاه العمل الإسلامي، وحين يؤدي المسلمون واجبهم نحو الإسلام سوف يتغير الحال إن شاء الله تعالى...

إن مما عرفل العمل الإسلامي هو قلة الدعاة وضعف كثير منهم في اللغة الأجنبية، ومما عرفل العمل الإسلامي أيضاً هو ما حصل في ١١/٩ حتى لقد صار الناس يخافون من اسم الإسلام والمسلمين، وصار المسلم إذا سافر في أي طائرة فإنه يكون موضع شك وشبهة ومراقبة، والحوادث كثيرة في هذا الصدد، وشتان ما بين الحالتين: ما قبل ١١/٩ وما بعد ١١/٩، وأسأل الله – سبحانه – أن يغير الحال إلى أحسن حال.

وقد رسم الخالق – تقدست أسماؤه – لنا كيف نسلك في الدعوة إلى دينه الحنيف.. فقال – ﷺ -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [ النحل: ١٢٥ ]، قال أيضاً: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [ آل عمران: ٦٤ ]، ثم قال – ﷺ -: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [ الأنعام: ١٠٨ ].

هذه الآيات الكريمة وغيرها الكثر يجب أن يكون لها مكان بارز في مشاركاتنا بالحوار مع الآخر، لأنها هي مفتاح الدخول إلى الإسلام، والله در العلامة الطبري حين قال معناه: يجب أن تكون المناقشة بالكلام الجميل لا عن طريق الإغلاظ والمخاشنة، إن توحيد الله – سبحانه – يجب أن يكون هدفنا الأول وأن لا ننسى قوله – ﷺ -: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

تُوحى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [ الأنبياء: ٢٥]، كذلك يجب أن نتذكر أن الذين لم يحاربونا ولم يظهروا على حربنا فلا مانع شرعا من مخالفتهم ومصادقتهم والبر بهم، قال الله - ﷻ -: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [ الممتحنة: ٨-٩]، إن المسلم الذي يستند إلى هذا الدين القوي المتين لن يخاف الحوار، ولن يضل أو يشقى لأنه منصور دائماً، وهو يشعر عند انتهائه من الحوار أنه قد أدى واجبه... ويجب أن نجعل الهدف من الاشتراك بالحوار هو بيان حقائق الإسلام ومبادئه الإسلامية، وأخلاقه الفاضلة، ومعاملاته المثالية، وتوحيد الله - سبحانه -، والإيمان برسله جميعاً.

إن صدام الحضارات مرفوض عندنا، لأننا نحترم الآخر وإن كان مخالف ديننا ومثلنا العليا.. وفي الوقت ذاته فإننا مسؤولون عن بيان الحقيقة، وسوف يحاسبنا الله في اليوم الآخر، فيكافئ المحسن، ويعاقب المسيء.. إننا يجب علينا أن نتبع ما تمليه علينا حضارتنا، وألا نعتق ما يخالفها مهما كلف الأمر من تضحية وصبر وشدة.. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.